توطئة:

الرسالة السياسية نوع من الرسائل التنظيمية الديوانية تقوم على معالجة القضايا السياسية الكبرى تنظم العلاقات العامة بين الدول وتطرح من خلال الرؤى الفردية أفكار الأمة والإنسانية وتختلف عن الديوانية في الطول والتوجه فهي رسالة موجهة لغير ديوان الحاكم كواليه أو أميره بل هي موجه إلى من يضاهي الحاكم في منصبه أي أنها مراسلات بين الدول والدواوين الموازية تكون للإعلام أو الدعوة أو المشاركة أو التهديد أو تقديم وجهات النظر في أمر سياسي مشترك، ولم يعرف هذا النوع من الرسائل في واقع الحياة العربية في جاهليتها اذ كان النظام قبليا وبعد التنظيم السياسي الذي عرفه في كنف النظام الاسلامي بدأ التعرف على الرسالة السياسية.

الرسالة في صدر الإسلام:

باستقرار الرسول ﷺ بالمدينة تم وضع دعائم الدولة السياسية أخذ يراسل ويعاهد ويهادن يؤامن ملوك وسادات وأمراء الحواضر من اليهود والعرب والأجانب بعد ذلك بكتابة الرسائل يدعوهم مباشرة أو يعرفهم بالإسلام ولعل من أشهر تلك الرسائل النبوية ما أرسله خاصة إلى ملوك حِمْيَر وإلى همذان وإلى بني كلب أو رسائل الدعوة العامة كالتي توجه بها إلى كل من(النجاشي ملك الحبشة وهرقل ملك الروم وكسرى مل الفرس والمقوقس عظيم القبط في مصر، ووائل بن حجر في حضرموت) وكل تلك من دلائل اهتمام الإسلام بالرسالة وخاصة في شقها السياسي.

ومن أمثلة ذلك رسالته إلى النجاشي يقول فيها:«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني

أدعوك إلى الله وحده لا شريك، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى»[1]، وفي رسالته إلى هرقل يقول صلى الله عليه وسلم: «بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّ الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله و رسوله، إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين»[2]، ورسالته إلى كسرى وغيرهم، فكانت رسائل الدعوة النبوية إلى الملوك والأمراء أظهر ما وجد في العهد النبوي من نثر سياسي مكتوب.

لم يُعرف في كتابة الرسائل وخاصة السياسية منها ان وضع كاتبها اسما يدل عليه والرسول استكتب كثيرا ممن حوله من المسلمين حتى تنافسوا في تعلم الكتابة بغية ان ينال أولئك القرب منه ﷺ وشرف الكتابة بين يديه حتى اختلف في عددهم « فيذهب الحافظ بن عساكر في تاريخ دمشق الى انهم ثلاثة وعشرون، ولكنه يقرر في بهجة المحافل أنهم خمسة وعشرون، ويوافقه على هذا الرأي ابن عبد البر في الاستيعاب، ويقول القرطبي في تفسيره انهم ست وعشرون، وهناك من يذهب بعيدا فيرى أنهم أربعون (الشبراملسي في القضاء)، أو اثنان وأربعون (أبو الوفا نصر الهوريني في مطالعه) أو ثلاث وأربعون (البرهان الحلبي في حواشي الشفا، وذكر الجهشياري بعضهم ولم يبين عدتهم»[3].

أما عهد الصديق فعرف كثرة الاختلاف والحرب والتعهدات ما جعلهم يكثرون من الكتابة، إضافة إلى رسالة عهد الولاية، التي سنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونذكر هنا أن كاتب أبي بكر الصديق كان عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

(1). الطبري، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، د.ط، د.ت، ص602

(2)مي يوسف خليف، النثر العربي بين صدر الإسلام والعصر الاموي، دار قباء للطباعة والنشر، ص32.

(3).حسين نصار، "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2002،ص49

أما في خلافة عمر التي كان فيها تنظيم الدواوين، عرفت تعدد الكتّاب ونشاط الخليفة في تولي أمور الكتابة، فكثرت مكاتباته إلى قادته وولاته وعماله وقضاته في كل الأصقاع، خاصة بعد امتداد الرقعة الجغرافية للدولة، وصعوبة أمر التواصل المباشر، ويرى الباحثون أن الكتابة العمرية لم تتغير عما كانت عليه قبله. فالخليفة من يتولى إملاء الرسالة بنفسه، وزاد عليهما عمر في تدوينها كذلك، وخاصة في وثائق العهود كما فعل في الوثيقة العمرية مع سكان بيت المقدس في فلسطين.

نص الوثيقة العمرية:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدمن ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم،(ولا يسمن مع أهل المدائن)، أن يخرجوا منها الروم، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله، حتى يبلغ مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا إلى أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعدوا عليه، مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء صار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء، حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان.

وتنفتح الفتنة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتشتد، فتكثر الحاجة إلى الرسائل والمكاتبات بصورة ملحوظة[1] فأخذت في الإطالة، وروى الطبري أن عليًا رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة حين خرج في إثر السيدة عائشة رضي الله عنه ومما جاء فيها قوله:«إني اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا،

(1).ينظر: حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص64

وأيدونا وانهضوا إلينا، فالإصلاح ما نريد، لتعود الأمة إخوانا، ومن أحب ذلك وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه» [1].

ويرى الدارسون ان الرسالة في عهد الخلافة الراشدة لم تحد عن الطريق الذي رسمه الرسول منذ بداية تعاطيه لكتابة مراسلاته الديوانية او السياسية كذلك كما رأينا في خصائصها في مجالها الديواني

الترسل السياسي في العصر الاموي:

منذ ان استقر أمر الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عمد إلى إنشاء « ديوانين هما ديوان الرسائل وديوان الخاتم، وفيه كانت تختم الرسائل الصادرة عنه، وظل ديوان الخراج يُكتب في الشام ومصر بالرومية، وفي العراق بالفارسية إلى عصر عبد الملك بن مروان، إذ نراه يطلب إلى سليمان بن سعد الخُشني كاتبه على ديوان الرسائل أن يترجم ديوان الشام الرومي، وفي الوقت نفسه يطلب الحجاج إلى صالح بن عبد الرحمن كاتبه هو الآخر على ديوان الرسائل أن يترجم ديوان العراق»[2]. وكان ذلك من أهم عوامل ازدهار الكتابة حينها.

وهكذا عرفت المراسلات السياسية ذروة ازدهارها فاتخذت الخلافة الاموية من الكتابة فيها عادة تواصلية فاختار خلفاؤها لهذه المهمة أكفأ وأذكى وأوفى الكتاب وأصدقهم، وكثيرا ما كان يطمح كتاب الولايات إلى أن يلفتوا ببلاغتهم، من يكتبون إليهم من الخلفاء حتى يعيِّنوهم في دواوينهم، واشتهر الحجاج بأنه كان كثير التعهد لرسائل قواده، حتى إذا لفتته رسالة ببلاغتها سأل عن كاتبها وطلب مثوله بين يديه، وكان إذا أعجبه كاتب وملأ نفسه ربما أرسل به إلى عبد الملك بن مروان ليسلكه بين كتابه على نحو ما صنع بمحمد بن يزيد الأنصاري»[3]،

(1). الطبري، تاريخ الطبري، ص814

(2).شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط20، د.ت، ص465

(3).المرجع نفسه، ص466

ويذكر المؤرخون ان كتابة الرسالة عرف في هذا العصر منعرجا هاما جعلها تصنف الى طورين وهذا المنعرج يتمثل في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي عرف بحبه الشديد إلى التأنق في كل شيء إذ تصادفنا رسائل كان أصحابها « يعنون بالطوامير والقراطيس التي كانوا يكتبون فيها، كما كانوا يعنون بنفس كتابهم وخطوطهم وأن الوليد أول من كتب من الخلفاء بالطوامير، وأنه أمر بأن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي تكتب به، وكان يقول: تكون كتبي وكتب الناس إلي خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض »[1]، ففرض التأنق على كتاب الرسائل في دواوينه وبات كل ولاته يهادونه بمن يرون في عمله جمال وبلاغة.

وقد اتسمت الرسالة في ذلك العصر بجملة من الخصائص طبعت منتوج كتابها بلونيها الديوانية والاخوانية تمثلت في ما يلي:

1/ بعد ما حدث من خلاف وجدال وقتال قبل تأسس العصر وحتى خلاله «وأصبح الناس بحاجة إلى شرح وتفصيل ولاسيما وأنهم خالطوا الأعاجم، ولاسيما أن الأعاجم أنفسهم أُخِذوا بالدين الجديد كما اخذوا باللغة العربية، وهكذا من امتداد سلطان العرب وامتزاجهم بغيرهم من الأمم الراقية في الحضارة، ومن أخذهم بقسط وافر من التحضر »[2]

2/ وبفعل ذلك الاهتمام والتأنق والتجريب حدث التحول فن الرسالة من ممارسة عفوية اتباعية الى الانتقال إلى الإبداع الواعي بهندسة أشكالها وتحديد ملامحها ومستلزماتها فباتت لا تظهر الا بمقدمات متعددة تتناسب وموضوعها العام وخاتمة تجسد الهدف المتوخى إضافة إلى مضمونها الذي يتناسب والمرسل إليه حجما وبلاغة وأساليب.

(1).المرجع السابق، ص470

(2).حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص324.

الترسل السياسي في العصر العباسي:

أما في العصر العباسي فقد ازداد نشاط الرسالة عموما والسياسية خصوصا، واتسع مجالاتها وتنوعت موضوعاتها، وذلك نظرا لتعقد الحياة الثقافية وتشعب مشاربها، خاصة بعد أن انفتحت مكنونات ودرر خزائن المعرفة الفارسية والرومية، ومن ورائها الهندية واليونانية وجميع منتوج الحضارات الإنسانية حينها، في الساحة الثقافية العربية، وكيف استفاد علماؤها من التعامل معها، زاد على ذلك اتساع الرقعة الجغرافية التي انفتحت عليها بسطت الخلافة العباسية فيها سلطتها،

وكان للثقافة الفارسية خاصة وكُتّابها ممن اسلموا، التأثيرُ البالغ على الرسالة، فقد تشبعت على أيديهم من أساليبها واستفادت من تجربة أقلامهم، هذا وإن كان « هذا التأثير بدأ منذ عبد الحميد الكاتب، ولكنه لم يبلغ أشده إلا في هذا العصر، إذ اتسع نقل الآداب الفارسية وكل ما أوثر عن ملوك فارس ووزرائهم من عهود ووصايا، ورسائل إلى العمال والولاة، مما سالت مادته الغزيرة في كتابات الكاتب العباسي»(1)، حتى بات كُتاب الرسالة يتصفون بالثقافة الواسعة، وعمق الأفكار ويعتنون بترتيب معانيهم وإبداع خطوطهم وتنويعها، ووقفوا على الألفاظ البليغة المتغيرة الدلالة، ومخارج ملفوظاتهم وإجادة ديباجة رسائلهم وتلوينها بما يعبر عن حياة الترف المعاش، وملامح الحسن والنظارة والبهاء.

وجملة القول: أن الكتابة في هذا العصر بلغت أرقى ما وصل إليه الترسل العربي، ويكاد يكون إجماع الباحثين في أمر ذلك يرجع إلى التطور الحضاري وقوة السلطان في العصر العباسي، وإضافة العلوم المنقولة إلى اللغة العربية فنمت المكتسبات اللفظية وتنوعت الأساليب وعرفت الرسالة التوازن في حضور بلاغة السجع، فأغرقت في الصنعة وكثرة التضمين والأشعار.

(1).شوقي ضيف، العصر العباسي الأول ص467

الترسل السياسي في المغرب والأندلس:

انطلاقا من النشاط السياسي الواسع والنزاع الكبير الذي عرفته منطقة المغرب والأندلس كما توضحناه في المحاضرة السابقة نشطت حركة وتواجد الرسالة السياسية،

وقد توجهت عناية الرسالة إلى جانبها الشكلي، «فكان المنصور بن أبي عامر يتشدد في النص على جودة الخط، حتى لقد أصدر عهدا يوبخ فيه العمال لاستكتابهم الجهلة الذين لم يبلغوا أن يحكموا الخط، ويميزوا أنواع الرق والمداد، وهدد من كتب كتاب اعتراض أو عمل في رق رديء أو بمداد دني أو خط خفي فيه لحن أو بَشْر فانه معزول ومطالبه باطلة»(1)، فرئيس الديوان يجب «أن يكون أعلم أهل عصره بفنون الكتابة وأساليبها ورفعوه مكانا عاليا لأن كاتب الإنشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يراد منه ويصرفه بالأمر والنهي وهو حيلة المملكة وزينتها لما يصدر عنه البيان الذي يرفع قدرها ويعلي ذكرها ويعظم خطرها ويل على فضل ملكها وهو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد والترغيب والاحماد والاذمام واقتضاب المعاني التي تقر الوالي على ولايته وطاعته وتعطف العدو والعاصي عن عدواته ومعصيته»(2).

ومن قد تأخذ صورة المنشور يعلن فيه صاحبه عن فكرة يريد نشرها بين العامة قبل الخاصة وذلك لتحقيق رغبة مطلوبة فقد كتب ابن قصيرة كاتب علي بن يوسف بن تاشفين إلى أهل الأندلس يحظهم على طاعة الوالي المعيّن لهم يقول« إن الوالي النائب عنا في تدبيركم وإقامة أموركم، وسياسة صغيركم وكبيركم، وقد فوضنا إليه ذلك وأفردناه بالنظر في دقه وجله وقله وكثره، وما فعل من ذلك كله فنحن فعلناه، وما قال فيه فكأننا نحن قلناه، ولا نوقف ما أمضاه ولا نمضي ما وقعه وأباه، ولا نرى في أحد منكم إلا ما يراه، ولا نتولاه كائنا ما كان إلا

(1).إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة،بيروت، لبنان، ط2، 1969، ص325
(2)أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 1996، ص574.

أن يتولاه، ولا نرضى من أحواله ما لا يرضاه، بلساننا يتكلم وعما في جناننا يترجم، وعلى ما يوافقنا يسدي ويُلحِم»[1].

ومن أهم موضوعات هذا النوع من الرسالة في بلاد الأندلس والمغرب ما كان من رسائل الاستصراخ والاستغاثة والاستنجاد من ملوك الطوائف وعموم العلماء والشخصيات الاندلسية والمغربية لجند الاسلام وانصار الدين فقد «حدثت في سنة 456 نكبة عظمى، فإن النورمانديين في الشمال الغربي لفرنسا تجمعوا وتجمعت معهم شراذم من فرنسا وأوروبا لحرب المسلمين في الأندلس، مكونين حملة صليبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة... واخترقت الحملة جبال البرينيه الفاصلة بين فرنسا وإسبانيا، وحاصرت مدينة وشقة««[2]، ومن بين تلك الرسائل ما بعث بها محمد بن أيمن كاتب أمير بطليوس إلى يوسف بن تاشفين بمراكش يستصرخه لنجدة الأندلس ضد ألفونس ملك قشتالة يقول فيها: « لما كان نور الهدى دليلك وسبيل الخير سبيلك ووضحت في الصلاح معالمك ووقفت على الجهاد عزائمك وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام اعز ناصر وعلى غزوك الشرك اقدر قادر وجب أن تستدعي لما أعضل من الداء وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها أهلكهم الله عند إفراط تسلطها واعتدائها وشدة كلبها واستشرائها تلاطف بالاحتيال وتستنزل بالأموال... ولم يزل دأبها التشطط والعناد ودأبنا الإذعان والانقياد حتى استصفى الطريف والتلاد واضطر متفي كل جهة نارهم ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم فيا الله؟ ويا للمسلمين؟ أيسطو هكذا بالحق الإفك ويغلب التوحيد الشرك ويظهر على الإيمان الكفر ولا يكتنف هذه الملة النصر الا ناصر لهذا الدين المهتضم؟ إلا حامي لما استبيح من حمى الحرم؟ وإنا لله على ما لحق عرش الدين من ثل وعزه من ذل»[3].

(1).شوقي ضيف، تاريخ الأدب في بلاد المغرب عصر الإمارات، ص492

(2).شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول الإمارات . الأندلس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1989، ص403

(3).الذخيرة، ج 2 -653

ومن رسائل استغاثة عموم العلماء ما صرخة أبي محمد بن عبد البر لنجدة الأندلس يقول:

«إنا لله و إنا إليه راجعون . على ما رات منا العيون . من انتهاك النعم والمدخرات وهتك ستر الحرم المحجبات والبنات المخدرات ولو رايتم . معشر المسلمين . إخوانكم في الدين وقد غلبوا على الأموال والأهلين واستحكمت فيهم السيوف واستولت عليهم الحتوف وأثخنتهم الجراح وعبثت بهم زُرْق الرماح وقد كثر الضجيج والعويل والنواح... ومصاحف تمزق ومساجد تحرق ولا الأخ يلبي اخاه ولا الابن يدعو أباه ولا الأب يدني بنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) ولا المرضعة تلوي (تعطف) على رضيعها ولا الضجيعة ترثى لضجيعها.. وقد سبقت النساء والولدان ما بين عارية وعريان ومشيخة الرجال مقرنين في الجبال مصفدين في السلاسل والأغلال والجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن وحلاوة الآذان مطبقة بالشرك والبهتان مشحونة بالنواقيس والصلبان عوضا من شيعة الرحمن والكفر يضحك وينكي والدين ينوح ويبكي فيا ويلاه ويا ذلاه ويا كرباه ويا قُرباه ويا محاه ولو شهدتم . معشر المسلمين . ذلك لطارت أكبادكم جزعا وتقطعت قلوبكم قطعا واستعذبتم طعم المنايا لموضع تلك الرزايا ولهجرت أسيافكم أغمادها وجفت أجفانكم رقادها امتعاضا لعبدة الرحمن وحفظة القرآن وضعفة النساء والولدان وانتقاما من عبدة الطغيان وحملة الصلبان»[(1)]،

وكان من حظ علماء المغرب من الاستصراخ رسالة أبي عبد الله يحظ كغير ما واعظ لنجدة الأندلس يقول:

«كتابنا . أعزكم الله . بتقواه، وكنّفكم بظل ذراه ووفر حظوظكم من حُسناه، من حضرة مراكش . حرسها الله . يوم الاثنين منتصف شوال من سنة سبع وخمسمائة بين يدي حركتنا يمن الله فاتحها وعقباها، وقد قرعنا الظّنابيب وأشرعنا الأنابيب، وضمرنا اليعاسيب واستنفرنا البعيد والقريب، مستشعرين إخلاص نية وصدق حمية في نصر دين السلام، ومنع جانبه أن يضام أو أن يناله من عدوه اهتضام، ونحن وإن كناقد بالغنا في الاحتشاد والاستعداد، واستنهضنا من الأجناد ما

(1).شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول الإمارات . الأندلس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1989، ص411، 412.

يُربى على الحصى والتعداد، فإنا نعتقد اعتقاد يقين بقول رب العالمين في كتابه المبين: قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم أن استنفار الدعاء واستفتاح أبواب السماء، بخالص الثناء من أنفع الأشياء وأنجح الدواء، فيما أعضل من الأدواء»[1].

كما كان كتاب الملوك قد راسلوا ملك قشتالة لمراودته في الصلح أملا في تأخير الزحف اكتسابا للوقت لتحضير أنفسهم واستقبال الإمدادات المساعدة في مجابهته وكانت هذه الرسائل محاولة سياسية في تخفيف أضرار الحرب، ومن أمثلة هذا النوع من عهود الصلح ما توجه به أبو المطرف بن عميرة من كتاب عن جميل زيان، لعقد الصلح مع ملك قشتالة، يقول فيه:

« كتابنا إليكم . أسعدكم الله برضاه، وأدام عزتكم وكرامتكم بتقواه . من مرسية، ونحن نحمد الله الذي لا شيء كمثله، ونلجأ إليه في أمرنا كلّه، نسأله أن يوزعنا شكر إحسانه وفضله – وعندنا لجنابكم المرفّع تكرمة نستوفيها، ومبرة ننتهي إلى الغاية فيها، وعلمنا بمحلّكم الشهير، وكتابكم الخطير، يستدعي الزيادة من ذلكم ويقتضيها؛ وقد كان من فضل الله المعتاد، وجميل صنعه في انتظام الكلمة في هذه البلاد، ما اكتنفه العصمة، وكملت به النعمة والمنّة وتيسر بمعونة الله فتح أقر العيون، ورضيه الإسلام والمسلمون، وكانت مطالعتكم به مما آثرنا تقديمه، ورأينا أن نحفظ من الأسباب المرعية على التفضيل الجملة [حديثه وقديمه] وحين ترجحت مخاطبتكم من هذا المكان، ومفاوضتكم في هذا الشأن ... ويذكر من قصدنا ما نولع به ونعنى؛ وهو فلان في ذكر السلم ومحاولتها، ما يتأدى من قبله على الكمال بحول الله تعالى. وإن رأيتم إذا انصرف من عندكم، أن توجهوا زيادةً إلى ما تلقونه إليه من رجالكم وخاصتكم؛ في معنى هذا العهد وإحكامه، ومحاولته وإبرامه؛ فعلتم من ذلك ما نرقب أثره، ونصرف إليه من الشكر أوفاه وأوفره، إن شاء الله تعالى: وهو الموفّق لا رب سواه، والسلام الأتم عليكم كثيراً»[2].

(1).شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول الإمارات . الأندلس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1989، ص403

(2).القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص ص117.116 .

وهكذا تبدأ الرسالة السياسية في هذا الجزء الكبير من بلاد المسلمين بتسمية المرسل والمرسل إليه ثم الدعاء لهما بما يتناسب بمكانتهما ثم يكون الحمد والثناء لله وسؤال إحسانه وفضله، ثم يحدد كاتب الرسالة موضوعها ويبسطه بطريقة هادئة تتناسب مع موضوع الطلب، ويختتم الخطاب بالسلام.